آراء غربية ومسلمة عن الآخر

د. نزار محمد جودة*
باحث من العراق

* كلية العلوم السياسية- جامعة بغداد

ملخص :

ان ما يميز علاقة الإسلام بالغرب هو التأثير والتأثر الناشئ عن الأبعاد السياسية والاقتصادية والثقافية والتاريخية والإثنية المكونة والمؤثرة على كلا الطرفين، ومع اختلاف رؤية الغرب للعالم الإسلامي، والتي تتمحور حول فكرة العدو او المنافس في أحسن الأحوال، ترتكز رؤية الاسلاميين حول تلك العلاقة المبنية على ما يواجهه الإسلام من حرب معلنة أو خفية من القوى الحاكمة والمتحكمة في العالم المعاصر، بما يمتلكه ويسطر عليه الغرب من أدوات سياسية ذات أبعاد عسكرية وأمنية فائقة التطور وأدوات إعلامية وثقافية.

كلمات مفتاحية: الغرب – الاخر- الفكر الإسلامي- الفكر الغربي

Abstract

What distinguishes Islam's relationship with the West is influence and influence, arising from the political, economic, cultural, historical and ethnic dimensions that are formed and influenced on both sides, and with the west's different vision of the Islamic world, which revolves around the idea of the enemy or rival at best, the vision of The Islamists is based on that relationship based on the declared or hidden war faced by Islam from the ruling and controlling forces in the contemporary world, with its political tools of highly sophisticated military and security dimensions and media and cultural tools.

KEY WORDS: The transition, consociational systems, obstacles of participation, Christians and transitional periods.

المقدمة

موضوع العلاقة بين الإسلام والغرب موضوع تكتنفه جوانب متنامية من التأثير المتبادل الناشئ عن الأبعاد السياسية والاقتصادية والثقافية والتاريخية والإثنية المكونة والمؤثرة على كلا الطرفين.

فالإسلاميون يرون في تلك العلاقة المبنية على ما يواجهه الإسلام من حرب معلنة أو خفية من القوى الحاكمة والمتحكمة في العالم المعاصر، بما يمتلكه ويسطر عليه الغرب من أدوات سياسية ذات أبعاد عسكرية وأمنية فائقة التطور وأدوات إعلامية وثقافية، التجسيد الواضح للخطر الأكبر الذي يهدد الإسلام والمسلمين، لما تحمله تلك المشاريع الكونية، وهي في عينها اهداف تقضي بمسخ وتذويب الهوية الاسلامية بهوية غربية حداثية تتماهى مع الأفكار والرؤى الغربية الرأسمالية (الليبرالية).

وهذا يستتبع المراحل التي مرت بها علاقة الإسلام بالغرب ممثلةً بالصدام بين العالم الإسلامي (ثقافةً وعقيدةً وشريعة) والعالم الغربي، بأوروبا الصليبية ثم أوربا الاستعمارية فأوروبا الاستعمارية الامبريالية. وما لها من دور في ظهور وفاق قوى الغرب الحضاري التي وضبت لبناء نظام عالمي علماني كيانه ومفرداته غربية حضارية، يرى فيها الاصلاحيون من العالم الإسلامي محطة من أهم محطات الصراع والتحدي المؤدي الى ضرورة استنهاض الروح الدينية العقدية لتبري الى تأسيس نظرية اسلامية قادرة على إيجاد مشروع لانبعاث إسلامي سياسي وتنظيمي يستند الى رؤى وأفكار إصلاحية تختلف في مناهجها أسسها ومبنياتها عن النظرية الغربية، وبالتالي نظرتها وتعاملها مع الغرب العدائي الاستعماري.

فالغرب بالاستناد لهذا النهج الإسلاموي العدائي، يرى في قسمه الأكبر ضرورة تقويض او تصحيح أو السيطرة على النظرية الإسلاموية وفق مضامين سياسية وعسكرية وثقافية تحد من الجوانب التي تحددها في تقييم ما ينسجم او لا ينسجم والابعاد الغربية الحضارية لمجموعة كبيرة من النواحي للتوجه الإسلامي الصحوي والعدائي للغرب، لتنطلق بإعداد أدبي وثقافي وسياسي مخطط ومدروس لعملية تغير واسعة في المنطقة الإسلامية الإرهابية المستبدة التي تهدد أمن واستقرار الغرب المسالم والمتسامح. وهنا تكمن الدراسة التي تحاول الكشف عن مدى انحراف

الرؤى والافكار المؤدية الى ظهور العنف والارهاب بمتبنيات الحركات والمنظمات الاسلامية (الجهادية) من جانب، مع سبغ اغوار الفكر الغربي حول حقيقة الإسلام والمسلمين ضمن طروحاته السياسية والثقافية من جانب آخر، لنعرج الى الدور الذي يجب أن تلعبه الحركات الإسلامية في عملية تغطية التفاعل الحضاري والانساني مع الغرب بعيداً عن حلقات التعصب والعنف التي يتبناها قسم كبير ممن يحسبون على الحركة الاسلامية الاصلاحية في العالم الاسلامي.

اشكالية البحث: عدم الوضوح في الخطاب الاسلامي المعاصر بين فقه الدعوة القائم على اسس دينية، وفقه دولة المواطنة المعاصرة في التعاطي مع الاخر الغربي.

فرضية البحث: العلاقة الصدامية بين الغرب والاسلام في تقديرنا ذات طبيعة سياسية- اقتصادية وليست دينية.

هيكلية البحث:تم تقسم البحث الى ثلاثة مباحث فضلاً عن المقدمة والخاتمة، ناقش المبحث الأول موضوع تأصيل الحركات الإسلامية ونظرتها الى الأخرى الى الاخر، اما المبحث الثاني فطرح موضوع: الحضارة الغربية والنظرة الى الإسلام، اما المبحث الثالث، طرح موضوع الإسلام الإصلاح والوفاق مع الغرب.

المبحث الأول

تأصيل الحركات الإسلامية ونظرتها إلى الأخر

أن ما يميز المشروع النهضوي العربي هو أن يتقاسمه مشروعان للإصلاح:

الأول: مشروع الاصلاح الديني.

الثاني: مشروع الإصلاح الليبرالي.

إن المشروع الإصلاحي الديني في جذوره الاولى كان يعبر عن رؤية عصرية للدين على يد كل من رفاعة الطهطاوي (1873-1801)م الذي قال: ((ليس هناك فرق كبير بين مبادئ الشرع الإسلامي ومبادئ القانون الطبيعي التي تتركز علية قوانين أوربا الحديثة)). ثم جاء بعده جمال الدين الافغاني (1838 -1897)م الذي قال: ((الغاية من اعمال الانسان ليست خدمة لله وحسب، بل خلق مدنية انسانية مزدهرة في كل نواحي الحياة)). ليسير محمد عبده على نهجه (1849-1905)م الذي أوجز القول: ((لم يدعُ الاسلام الى تعطيل العقل)). وكذا لحال لرشيد رضا الذي سار على هذا النهج ليظهر الإسلام الاصلاحي الصحوي اكثر انفتاحاً وتسامحاً

وقبولاً للأخر* ثقافياً وحضارياً، ليمتد تأثير ذلك الى الربع الأول من القرن العشرين متماهياً مع المضامين الاجتماعية والفقهية لتؤسس لها قاعدة أكثر انفتاحاً وقبولاً في محيطها[1]. وعليه كان لذلك الدور الاكبر في تمهيد الطريق لظهور حركات واحزاب اسلامية اصلاحية كحركة الشبان المسلمين (1927)م، والاخوان المسلمين (1928)م، والشبيبة الاسلامية في بلاد الشام (1933)م، واحياء السنة (1933)م، والجمعية الشرعية (1934)م، لتنشأ لها نواديها الخاصة ومؤسساتها البعيدة عن الغرب وثقافته[2]، كونها محكومة بحالة الحصار الاستعماري الخارجي بأدواته السياسية والثقافية والاعلامية والامنية المباشرة لتجد نفسها امام تياراته جديدة ناقمة من الراديكالية الإسلامية التي اصطدمت افكارها مع قيم النهضة والاصلاح النهضوي لتتخذ لها منهجاً مغايراً في الاصلاح مبني على أسس القطيعة والمقاومة لكل ما هو غربي ومتبنياً لقيم اسلامية لا تتلائم مع متغيرات الواقع بما ينسحب على قيم وطبيعة أرادت مجتمعاتها بشكل أفرز نمطاً أخر من الاستبداد متخفياً وراء ستار الدين[3].

(1) نقلاً عن: اسماعيل نوري الربيعي وآخرون، الاستبداد في نظم الحكم العربية المعاصرة، ط1، مركز الدراسات الوحدة العربية، بيروت،2005، ص396.

(2) ابراهيم العبادي واخرون، الاسلام المعاصر والديمقراطية، ط1، مركز دراسات فلسفة الدين، بغداد ،2004، ص98.

(3) اسماعيل نوري الربيعي وآخرون، مصدر سبق ذكره، ص370.

* نعني بالآخر العالم غير الاسلامي (الغربي على وجه الخصوص).

أن حالة الحصار هذه وما ولدته من أفكار ومشاعر كونت لدى جماعات كثيرة من الحركات الإسلامية مفتاحاً للعنف، ومن ثم طبعت (أسلوب) العمل الذي تمارسه بطابعه العسكري الجهادي المبني على واقصاء الأخر، وكان نتيجة مناخ العنف المحيط بها والذي انطبع في ثنايا تكوينها، أن تحولت الى الواقع المكون لها بهيئة القوى الاجنبية الظاهرة والمستترة وانظمة الحكم والقوى السياسية والمحلية والمجتمع الذي تعيش فيه، وبصيغ الخطاب السياسي والعقائدي الموجه للخارج (كالمستعمر، المستبد، المشرك،...)، والخطاب الموجه إلى الداخل بما يمثله من نظام الحكم العلماني، ليأخذ دوره في الادانة والوعيد بالتغيير والاقصاء[4]، مما كان له تأثيره الكبير لأن يواجه بفواعل الحصار والضغط والقمع المنظم الذي مورس تجاه الحركات الاسلامية من قبل أنظمة الحكم في الدول الاسلامية، لتتوارى تلك الحركات تحت الارض وتؤسس لها قواعد مبنية على ثقافة احادية تعتمد تكفير الآخر، انطلاقاً من نظرتها اللاهوتية كالقول بالحاكمية لله وما عداها مجتمع كافر او وصفه بمجتمع الجاهلية كقول سيد قطب: ((أن المجتمع الجاهلي هو كل مجتمع غير مسلم))،[5] فهي مجتمعات ضالة كافرة وهي دار الحرب التي لا يأتي بعدها الا الكفر والالحاد ، وليس بعد الاسلام الا الجاهلية وليس بعد الحق الا الظلال. [6] وهذا الرؤية ستتحول مع مرور الايام الى ايدولوجيا سياسية عقدية يعتنقها الكثير من المثقفين المتشددين المحسوبين على المنظومة الصحوية الاصلاحية، ليعاد

(4) - محمد مهدي شمس الدين، فقه العنف في الاسلام، ط1، مركز دراسات فلسفة الدين، بغداد ،2004، ص ص14-13.

(5) - سيد قطب، معالم في الطريق، ط10، دار الشرق، بيروت ،1983، ص98.

(6) - المصدر السابق، ص161.

انتاجها في نصوصهم وعقائدهم لتصبح الملاذ لجمهور الحانقين متزايد العدد والعدة، مخلفاً تياراً جهادياً لجماعة الاخوان المسلمين[7]، اخذاً اشكالاً من العنف المسلح او التغيير لما سمي بجهاد النفس[8]، الامر الذي جعل العنف الجهادي ينسب الى جماعة الاخوان المسلمين تأسيساً، وإن كان هنالك من الحركات التي لا تنتمي لهذا التيار كالقول بجماعة تنظيم القاعدة التي تكفر ما دونها من المذاهب والحركات الاسلامية التي لا تنتمي الى معتقدها الاصولي السلفي الوهابي[9]، وعلى خلاف ذلك فهنالك من الحركات والتوجيهات الاسلامية الاصلاحية المنفتحة والمتسامحة والاكثر قبولاً بالآخر[10] كرواد الإسلام الإحيائي، لنجد الاسلام اكثر ليبرالية وان تشدد في المرجعية[11] للشريعة الاسلامية[12]، فالإسلاميون على اختلاف تياراتهم ودرجاتهم يتخذون موقفاً معارضاً تجاه حضارة الغرب ومنتجاتها الفكرية والفلسفية على اختلاف درجات هذا التعارض الذي يكون مطلقاً لدى جماعات التكفير والسلفية الجهادية وفي كل المجالات، ونسبياً عند تلك الاحزاب الاسلامية التي تحاول التوفيق بين مرتكزات الاصالة ومتطلبات المعاصرة، فتعارض سياسياً واجتماعياً ولكنها تحاول التوفيق وحتى التلفيق فكرياً وفلسفياً، ومن الناحية الاخلاقية فان الليبرالية تعني فيما تعني لدى الكثير من التيارات الاسلامية الانفكاك من كل قيد سياسي ام اجتماعي بما يتناقض مع مكونات ذات العقيدة بما أسس عليها ذاك التناقض، وهي على نقيض التيارات التي تماهي بين التحررية والفسوق كتيارات السلفية المتأخرة وتيارات سيد قطب وابو الاعلى المودودي لتقديم ايدولوجيتها المبنية على ثنائية التضاد الحتمي[13] بين الخير والشر والصالح والطالح والمسلم والكافر.

الليبرالية تعني الانفكاك من كل قيد سياسي ام اجتماعي بما يتناقض مع مكونات ذات العقيدة

يزداد خطر التحديات الخارجية التي وظفت بشكل كبير ذلك العجز المبني على قواعد وآليات ذاتي

ومنه كان واضحاً ما تعانيه من افتراق وضبابية لتوزعها بين أشكال متباينة «هوية الإسلام السياسي» وطبيعة العلاقة مع الأنظمة العلمانية، لتوزعها بين أشكال علمانية «اشتراكية، شيوعية، ليبرالية، راديكالية»، ودينية «أصولية، سلفية، تقليدية، ليبرالية، حداثية.[14]

وبتوزعها وانقسامها يزداد خطر التحديات الخارجية التي وظفت بشكل كبير ذلك العجز المبني على قواعد وآليات ذاتية تتصف بالانغلاقية في التعامل بشكل عدائي تجاه التنوع الإنساني مما أسهم في إظهار الوجه المتخلف في التعاطي مع المتغيرات الفكرية ذات النسق الاجتماعي المتساوق ضمن الأداء السياسي وفق آليات مهمتها الأساسية ضبط التحرك السياسي تجاه المكونات الحضارية الكبرى.

(7) - من امثال هؤلاء سعيد حوي وفتحي يكن وعبد السلام فرج وعلي بلحاج.
(8) - عبد الاله بلقيزيز، الدولة في الفكر الاسلامي المعاصر، ط2، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ،2004، ص198.
(9) -محمد احمد صالح ابو الطيب، 'قضايا تجديد الفكر المسلمين السياسي 2- الامام حسن البند قراءة في مشروعه السياسي، ط1، مطبعة الرفاه، بغداد ،2006، ص198.
(10) -اقام الاصلاحيون الاحيائيون تواصلا في العقدين الاخيرين مع مجلس الكنائس العالمي والكنيسة الكاثوليكية تحت عنوان الحوار الاسلامي المسيحي.
(11) -يحاول الاحيائيون الاستيلاء على المرجعية عن طريق العودة لآليات الاجتهاد التقليدي شكلاً وظاهراً في عمليا ت انتاج تقا ليد جديدة.
(12) - ابراهيم العبادي واخرون، مصدر سبق ذكره، ص101.
(13) حسن عز الدين بحر العلوم، جدلية الثيوقراطية والديمقراطية، مقاربة في انظمة الحكم على ضوء الفكر الشيعي الامامي، ط1، دار الرافدين، لندن ،2006، ص247.
(14) - حميد السعدون، العولمة والهوية الثقافية القومية، مجلة دراسات دولية، جامعة بغداد، ع (24)، بغداد، 2004، ص 9

المبحث الثاني: الحضارة الغربية والنظرة الى الإسلام

تختلف الحضارة الغربية اختلافاً جوهرياً عن الحضارة الإسلامية، فهي تجمع عوامل اقتصادية واجتماعية وثقافية وتاريخية متمايزة، صيرت الى فصل الدين عن السياسية والاخذ بالجوانب المادية أكثر منها روحية دينية في سبيل اغناء نهجها وتمتين مذاهبها وافكارها في خانة التواصل المتقادم مع طبيعة وروح العملية السياسية والاقتصادية والثقافية النامية في الغرب بعد عصور من الظلام والتخلف قياساً بالمجتمع الاسلامي الذي عرف حضارة اسلامية انسانية شمولية قاعدتها الرسالة المحمدية المتسامحة والتبشيرية الدينية والدنيوية. فالغرب بتياراته المناهضة والمتوافقة مع الاسلام لا ينكر الخلل الواضح في طبيعة وهيكل كلا الحضارتين في رؤيتهما وثوابتهما، مما ادى الى ان تصل حد استخدام العنف بشكل أفضى الى حالة التصادم والصراع المبني على اسس تاريخية ودينية واقتصادية وحتى ثقافية. فالتيار المناهض للإسلام في الغرب يجد وجوب احتواء الحضارة الاسلامية العدائية والجامدة بما يسند الى أقوال وأفكار العديد من مفكريها ورجال دينها وساستها، كالقول بما يراه (بايرن) لما خلفه الاسلام فترة القرن الثامن الميلادي في حوض البحر المتوسط فيما يعتقده الغربيون من وحدة حضارية ثقافية ودينية قائمة على الرسالة المسيحية التوحيدية ليكون للفعل الاسلامي بدخول المنطقة الوازع الاكبر في تحميل العرب وزر الانقسام الديني والسياسي الذي اصاب الامبراطورية الرومانية الى الامبراطورية الرومانية البيزنطية،[15] تلك النظرة الاستعلائية جعلت العداء للإسلام هو السمة الرئيسة التي تميز الموقف الاوربي عبر التنظيرات التي قدمتها الكنيسة الكاثوليكية (الفرع اللاتيني- الجرماني) في الدعوة لاستعادة بيت المقدس من المسلمين من خلال الحروب الصليبية، وان كان ذلك فيما يأخذ جوانب محاولة تغير جهة الصراع القائم بين الدول الاوربية الى عدو خارجي ممثل بالإسلام المدنس لمقدساتها والكافر كقول البابا الذهبي (اربانيوس الثاني) في المؤتمر التحضيري الذي عقده لفرسان الاقطاع الغربيين في كليرمونت بجنوب فرنسا سنة (1995م) الذي جاء فيها:».. أنتم فرسان اقوياء، لكنكم تتناطحون وتتنابذون فيما بينكم...، ولكن تعالوا، وحاربوا الكفار ....».[16] وان كان الفكر السياسي والديني قد كشف عن عداء بين للدين الاسلامي والحضارة الاسلامية فان الفكر الغربي لم يخل هو الاخر من نفس النظرة العدائية للإسلام، بل ويمكن القول انه شكل جزء رئيساً من الاطار الفلسفي النظري للسياسات الغربية تجاه العالم الاسلامي ويتضح هذا الامر في اقوال بيار بيلون وماكيافللي وبوستل الذي حاول فهم الاسلام تمهيداً

(15) - جلال ابراهيم فقيرة، التصور الغربي للحضارة الاسلامية (مقاربة سياسية) مجلة دراسات دولية، جامعة بغداد، عدد 20، بغداد ،2003، ص36.

(16) - المصدر السابق، ص38-37

لاستيعابه ضمن المسيحية العالمية.

فالإسلام في نظر البعض يمثل دور الاخر المتخلف الكافر كقول بول سارتر عن الاخر انه الجحيم لدى الكنيسة وبدرجة اقل ابناء النهضة الاوربية[17]. ليؤسس ذلك الى نظرة مقاربة في عصرنا الراهن مبينة على عدم الثقة والقبول بالأخر، لتظهر واضحة في نظرة الساسة والمفكرين الغربيين كنظرة رئيسة وزراء بريطانيا السابقة (مرغريت تاتشر) بقولها:» كان أمام الغرب عدوان اثنان الشيوعية والإسلام، وقد تم القضاء على الأول، ويقف الغرب مع الشرق الأرثودوكسي والكاثوليكي في خندق واحد لمجابهة العدو الباقي وهو الإسلام»[18]

بالرغم من الرؤى الفكرية اليمينية تجاه الحضارة الإسلامية إلا هناك اتجاه آخر يسير نحو الاعتراف بالآخر، مع تحميل الغرب الآثار السلبية عن سياسته الاستعلائية الاحتوائية. كتوماس كاريل الذي يرى اتهام محمد بالتعويل على السيف في نشر دعوته سخف غير مفهوم.[19]

وفي السياق ذاته يؤكد موري إن انتشار الإسلام في أفريقيا يعود الى بساطة العقيدة الإسلامية، كذلك الإسلام ليس فيه طبقات ودرجات، فالزنجي لا يرى نفسه محتقر في الجماعة الإسلامية[20].

او ما يذهب اليه (اسبوزيتو ورايت) الذي يدعو الى استخدام سياسات تعاونية مع حكومات مسلمة صديقة باتباع سياسات منسقة وواضحة في مساعدة الانفتاحات الديمقراطية الحقيقية التي تشمل الاسلاميين.[21] او توجهات (روبربيللترو) الذي وجه انتقادات حادة للإعلام الذي يظهر العالم الاسلامي كالإسلام الاصولي الجهادي[22]. وينضم الى هذا الجانب (جودي ايستيفيا) الذي ألف كتاب (ألف صوت وصورة)، بالقول في مؤلفه، أن اسوء حكم مسبق يملكه الغرب عن الاسلام هو الاعتقاد بان هذا الدين محكوم عليه بالأصولية، وان المفاهيم الفلكلورية الموضوعة في الغرب عن الاسلام ليست امراً حاسماً[23]. هذا من جانب، ومن جانب اخر بما يراه الرئيس الامريكي جورج دبليو بوش ورئيس الوزراء البريطاني في الدعوة الى العودة الى الاسلام المعتدل او اسلام السواد الاعظم[24].

فالإسلام في نظر البعض يمثل دور الاخر المتخلف الكافر

الا ان الامر بين هذا وذاك لما وصل اليه حالة القطيعة والنظرة المتشككة لكل طرف بالطرف الاخر واعتماد العنف لكل طرف في تبرير حالة الموقف ازاء الاحداث والوقائع الجزئية بين الطرفين والتي رسمت الحدود لحالة الصراع والاقصاء لكل

(17) -المصدر السابق، ص39.

(18) -احمد عبد الرحيم الخلايلة، العرب والتأثير في النظام العالمي، مجلة دراسات دولية، جامعة بغداد، ع: (11)، بغداد،2001، ص95.

(19) - شهاب الدين الحسيني، مبادئ العلاقات وحقوق الاقليات الدينية، بيروت – دار الهادي، 2003م، ص114.

(20) - المصدر السابق، ص114.

(21) - عبد القادر محمد فهمي، مكانة الاسـلام والمسلمين في الادراك السياسي والاستراتيجي في الولايات المتحدة الامريكية، مجلة العلوم السياسية، جامعة بغداد- عدد (19)،1999م، ص51. وكذلك للمزيد من التفاصيل حول المدرك الاستراتيجي الامريكي اتجاه الاسلام السياسي وتياراته وفق التصور الغربي انظر حارث محمد حسن، الاسلاموية والتوجه الامريكي، مجلة مع عدد (4) ،2005م، ص35-24.

(22) - عبد القادر محمد فهمي، مصدر سبق ذكره، ص57.

(23) - المصدر السابق، ص60.

(24) -ابراهيم العبادي واخـرون، مصدر سبق ذكره، ص108.

طرف على حساب طرف الاخر، مما يستوجب ايجاد الحلول التي تفضي الى حالة الوفاق والتعاون بين الجانبين.

المبحث الثالث: الإسلام الإصلاحي والوفاق مع الغرب

ان من قيم التجارب الإنسانية- دينية ام علمانية- انها تؤسس لجذور فلسفة معرفية تستوعب الضرورات الاجتماعية التي تقضي الى ايجاد قواسم مشتركة تساعد على فهم الآخر او القبول به على قاعدة من الوفاق المؤدي الى بناء حضارة انسانية تسامحية شمولية. فالاديان السماوية اديان خلاصية لا تتميز في ذلك عن الاديان الاخرى غير جوانبها التوحيدية والحصرية والتبشيرية، والواقع ان مبدئي التبشير والحصرية يوازن أحدهما الآخر، اذ المفروض ان الحصرية تقضي ممارسة عنف معنوي او مادي على الاخر الذي يقع خارج الجماعة، لكن التبشير (الدعوة عند المسلمين) وعد بالمساواة ضمن الدين الواحد إذا قرر الآخر الخارجي الانضمام الى الجماعة. فالقول بالحصرية عند المسيح بما يعتقد القول: ((ان من أمن بي فسيحيا)) بحسب قول كلمة المسيح في الانجيل او القول: ((ان عند الله الإسلام)) كما في القرآن الكريم، لا يغني عن استخدام العنف والضغوط بشكليها المعنوي والمادي للوصول الى الهدف المنشود[25]، لنجد في ثنايا ذلك المسوغات التي اعتمدت في تبرير العنف باستخدام الدين والمصالح السياسية والاقتصادية والثقافية تارة اخرى في حدود الجانب الموجه اليه العنف. فالمسلمون يرون في الغرب الحضاري التجسيد العملي للهجمة الاستعمارية الاستغلالية ذات الثقافة الاستعلائية التي تهدف الى اختزال واحتواء الآخر، او ما يدعى غربنة الجانب الاسلامي بالاستناد الى مضامين تاريخية وتوجيهات فكرية متنامية في التهديد والحط من الجوانب الاسلاموية مما يفرض عليها الاعداد المبني على استخدام العنف المسلح للحركات الجهادية الاصولية ضد الهجمة الغربية بشتى اشكالها باعتبار ذلك الخط الجهادي هو الخط الذي سيحافظ على الهوية الاسلامية التي ترى فيها الحركات الاصلاحية مقومات البناء للقاعدة المواجهة للغرب الفاسق المتعالي ، لتزيد بذلك حالة الانشقاق والهواة بين العالم الاسلامي والعالم الغربي الذي وجد في الاسلام الاصولي الحاضنة للعنف والارهاب المستند على اسس دينية اسلاموية، هي في جوهرها الدعامة التي سوف يستند عليها الغرب في دعايته لمقاومة ما يدعى بالمد للخطر الاخضر الذي حل محل الخطر للمد الاحمر الشيوعي بما حمله من

ان مبدئي التبشير والحصرية يوازن أحدهما الآخر

الخط الجهادي هو الخط الذي سيحافظ على الهوية الاسلامية التي ترى فيها الحركات الاصلاحية مقومات البناء للقاعدة المواجهة للغرب الفاسق المتعالي

(25) -رضـوان السيد واخـرون، التسامح وجذور التسامح، ط1، مركز دراسات فلسفة الدين، بغداد ،2005، ص153.

تهديد لقيم الغرب الحضارية والثقافية[26]، الامر الذي يستلزم المواجهة للقضاء على تلك الموجة الخطيرة التي ستضرب دول الغرب في عقر دارها.

(26) ابراهيم العبادي واخرون، مصدر سبق ذكره، ص47.

وبين هذا وذاك، فالإسلام- وان كان الجهاد في جزء من كبير من عقائده- الا ان طلبه لا يتحقق الا ضمن حدود موجبة تحكم الى ضرورة في اغلب مواضعها وضمن حيز محدد من القواعد الشرعية كالقول بالعدوان، فهو ليس باب من ابواب الاظهار والانتصار للدين انما هو باب من ابواب حفظ الدين ورد العدوان، وهذا ما يراه العديد من فقهاء المسلمين ومؤسسي المذاهب الفقهية كابو حنيفة ومالك واحمد بن حنبل، ليروا ان علة مشروعية القتال العدوان او خوفه. الا انفراد الشافعي تلميذ مالك وقوله: ان علة القتال ومشروعيته الكفر، الا انه لا يقر قتال الفجأة او البيات او الاستقتال، فيما يرى سفيان الثوري والفضيل بن عياض ان العبادات الاخرى أفضل من الجهاد[27].

(27) رضوان السيد واخرون، مصدر سبق ذكره، ص155.

او ما ذهب اليه ابو الحسن الاشعري في كتابه (مقالات الاسلاميين) بالقول: ((واختلفوا في انكار المنكر والامر بالمعروف بغير السيف، فقال قائلون تغير بقلبك، فان امكنك فبلسانك، فان امكنك فبيدك، واما السيف فلا يجوز، وقال قائلون يجوز تغير ذلك باللسان والقلب، فأما اليد فلا...))[28]. كما وان علاقة المسلمين بالأجانب في بلادهم، وحسب رأي الفقهاء تستند الى الادلة الخاصة بالقواعد العامة على ان المسلم اذ دخل الى بلاد اهل الحرب بعهد وأمان منهم (ما يعرف حاليا بين الدول بالحصول على التأشيرة للدخول visa التي تعطيها لوافديها) فيجب عليه ان يكون ملتزماً ووفياً لهم في بلادهم، ولا يجوز له ان يغدر بهم بسرقة اموالهم واتلافها، فضلاً عن قتلهم أو جرحهم، وأتلف لهم مالاً أو نفساً فهو ضامن لما أتلفه ويجب أداء حقه إلى أهله.[29] يضاف إلى ذلك ان تقدير الموقف لسياسة الدولة المخالفة للمصلحة الإسلامية وتقدير كيفية الرد على هذه السياسة لا يكفي التشخيص الفردي أو مجموعة وإنما رأي يشترك فيه عامة المسلمين والهيئات والمنظمات التي تمثل غالبية الأمة، بعد التقدير المناسب للموقف من الناحية الشرعية والسياسية[30]، هذا مع وجوب الابتعاد عن التأويلات المستندة إلى الكتاب بالقول بالكفر والزندقة لما يحمله النص الديني من ظاهر وباطن ومحكم ومتشابه، لذا فالقرآن الكريم كما دعا إلى الجهاد دعا إلى الحوار والالتزام بالعهد كقوله تعالى: ((إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ)).(*) أو قوله تعالى: ((وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ))(**)، وغيرها العديد مما يرشد إلى الحوار والحكمة والعدل في التعامل.

(28) محمد مهدي شمس الدين، مصدر سبق ذكره، ص209

(29) المصدر السابق، ص61 0

(30) المصدر السابق، ص62.

(*)-التوبة: من الآية 4

** الحجرات: من الآية 13

الخاتمة

ان الدين الاسلامي يحمل في طياته معطيات فكرية وروحية غاية في السمو والرفعة الانسانية الافتتاحية، لتعترف بالآخر على اختلاف حضاراتهم وثقافاتهم لما يحمله الاسلام من اصالة ومعاصرة (تراث وحداثة) عبرت عن نفسها في الفتوحات الاسلامية لتقدم للشعوب الاخرى العلوم والثقافة دون ان تمسخ او تلغي الثقافات المغايرة لتتجاوب معها بصيغة الحوار المفضي الى بناء الحضاري لكل الاطراف. وهذا ما يستدعي ان تكون الحالة الاسلامية اكثر مرونةً وتجاوباً مع واقعها بالدرجة الاساس مع الاخر بالنتيجة بعيداً عن الازدواجية بين ما هو عصري مستنسخ وما هو تقليدي (اصولي) لما يخلفه من تصادم ينعكس على نمط تفكير وممارسة الافراد والجماعات على نقيض ما يؤديه التوفيق بينهما من ايجاد قواسم تعين على بناء قاعدة متينة للتفاهم والتواصل مع متغيرات الواقع كي نتمكن من بناء ثقافة عربية تقدم النموذج الذي يخرج بحضارة إنسانية بفكرها وقيمها استجلاباً لمنافع النهضة والاصلاح وما يبتغيه في المنطقة الاسلامية على اختلافها.

إن الانفتاح على الآخر يتطلب منهجاً معرفياً واضح المعالم لإيجاد آليات ادارة التنوع على الصعيد الداخلي للدولة للحد من اتساع مديات التدخل الدولي على خلفية توظيف المقدس لأبعاد سياسية، ومن ثم إعادة تسويق الظاهرة إعلاميا برداء الأصولية الدينية «التطرف»

ان العلاقة بين المحافظين والإصلاحين في تحديد مشروعية التعاطي من عدمه مع الغرب يكتنفه استفهامات عدة:

1 – مدى واقعية قدرة الاتجاه الاصلاحي في اثبات فاعلية وجوده المعرفي بموازاة الآخر، أم انها حالة من الانسياق الكامل مع الغرب؟

2 – ماهي السبل الكفيلة وفق رؤى الاتجاه المحافظ لإحداث التوازن بين الخصوصية الثقافية ورهانات العولمة في ظل تباين الخطاب الديني المتموضع حول الذاتية المفرطة؟

لذا نؤكد، ضرورة اعتماد الفعل المعرفي الاجتهادي في إطار مؤسساتي في طرح خطاب يحتضن التنوع، واستثماره في التنمية البشرية التي تعد عماد الانتقال- في المواجهة الحضارية مع الغرب لإثبات الوجود– من فقه الدعوة إلى فقه الدولة.

المصادر:

اولاً- القرآن الكريم

ثانياً- الكتب

1. ابراهيم العبادي واخرون، الاسلام المعاصر والديمقراطية، ط1، مركز دراسات فلسفة الدين، بغداد ،2004.
2. اسماعيل نوري الربيعي وآخرون، الاستبداد في نظم الحكم العربية المعاصرة، ط1، مركز الدراسات الوحدة العربية، بيروت،2005.
3. الامام حسن البنا. قراءة في مشروعه السياسي، ط1، مطبعة الرفاه، بغداد ،2006..
4. حسن عز الدين بحر العلوم، جدلية الثيوقراطية والديمقراطية، مقاربة في انظمة الحكم على ضوء الفكر الشيعي الامامي، ط1، دار الرافدين، لندن، 2006.
5. رضوان السيد واخرون، التسامح وجذور التسامح، ط1, مركز دراسات فلسفة الدين، بغداد، 2005.
6. سيد قطب، معالم في الطريق، ط10، دار الشرق، بيروت ،1983.
7. شهاب الدين الحسيني، مبادئ العلاقات وحقوق الاقليات الدينية، بيروت- دار الهادي، 2003م.
8. عبد الاله بلقزيز، الدولة في الفكر الاسلامي المعاصر، ط2، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ،2004.
9. محمد مهدي شمس الدين، فقه العنف في الاسلام، ط1، مركز دراسات فلسفة الدين، بغداد،2004.
10. ثالثاً- البحوث والدراسات
11. احمد عبد الرحيم الخلايلة، العرب والتأثير في النظام العالمي، مجلة دراسات دولية، جامعة بغداد، ع، (11)، بغداد،2001.
12. جلال ابراهيم فقيرة، التصور الغربي للحضارة الاسلامية (مقاربة سياسية) مجلة دراسات دولية، جامعة بغداد، عدد 20، بغداد ،2003.
13. حارث محمد حسن، الاسلاموية والتوجه الامريكي، مجلة مع عدد (4)، 2005.
14. حميد السعدون، العولمة والهوية الثقافية القومية، مجلة دراسات دولية، جامعة بغداد، ع (24)، بغداد، 2004.
15. عبد القادر محمد فهمي، مكانة الاسلام والمسلمين في الادراك السياسي والاستراتيجي في الولايات المتحدة الامريكية، مجلة العلوم السياسية، جامعة بغداد- عدد (19)،1999.